أوجوستو مونتيروسو

مختارات شخصية

ترجمة وتقديم

محمد أبو العطا

المركز القومى للترجمة



2637

سلسلة الإبداع القصصي

فى واحد من الأقطار البعيدة، كانت هناك نعجة سوداء، أعدمت رميا بالرصاص.

بعد قرن من الزمان، أقام لها القطيع، الذى ندم على فعلته، تمثالا راكبا فى الحديقة العامة.

وعلى ذلك، ومنذ تلك اللحظة فصاعدا، كلما ظهرت نعجة سوداء، سرعان ما يعمل فيها القتل؛ كى تتمكن الأجيال اللاحقة من التمرس فى فن النحت.

تصميم الغلاف: هانى الشناوى

مختارات شخصية

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: أنور مغيث

سلسلة الإبداع القصصى
المشرف على السلسلة: خيرى دومة

- العدد: 2637
- مختارات شخصية
- أوجوستو مونتيروسو
- محمد أبو العطا
- اللغة: الإسبانية
- الطبعة الأولى 2015

هذه ترجمة:

ANTOLOGÍA PERSONAL
By: Augusto Monterroso

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

مختارات شخصية

تـأليـف : أوجوستو مونتيروسو
ترجمـة وتقديم : محمد أبو العطا

2015

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

مونتيروسو ، أوجوستو ، ١٩٢١ - ٢٠٠٣
مختارات شخصية/ تأليف: أوجوستو مونتيروسو
ترجمة وتقديم : محمد أبو العطا
القاهرة: المركز القومى للترجمة، ٢٠١٥
٥٦ ص؛ ٢٠ سم
١ - السرد الأدبى
(أ) أبو العطا ، محمد (ترجمة وتقديم)
(ب) العنوان ٨٠٨,٩٢٣

رقم الإيداع : ٢٠١٤/١٧٨١١
الترقيم الدولى : 978-977-718-839-5
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

المحتويات

تقديم المترجم

أوجوستو مونتيروسو كاتب من جواتيمالا ومن نقاد الأدب ومؤرخيه المعروفين ومن رواد التجديد فى كتابة القصة، وهو بحكم تكوينه الثقافى ملم بعدة لغات وثقافات، لذا فإن رؤيته الأدبية ذات أفق رحيب ومعامل التأثر والتأثير لديه جد متنوع. ويرتكز مشروعه الإبداعى على التجديد التقنى والأسلوبى والفكرى وإحياء التراث السردى بعد مراجعة مسلماته والسعى إلى خلق أسلوب جديد يحمل وسمه الخاص.

أما نتاجه السردى فقائم على شغل الفواصل بين الأنواع الفرعية المختلفة للسرد، فكتابته تخمية بين الأمثولة بشكلها القديم والحكاية والقصة القصيرة فى ثوبها المعاصر. ومن أهم منجزاته أنه مؤلف أقصر قصة فى الأدب ("عندما صحا كان الديناصور هناك").

ولد أوجوستو مونتيروسو فى تيغوثيغالبا (هندورس) ١٩٢١، وتوفى فى عاصمة المكسيك عام ٢٠٠٢. فى مطلع شبابه ناضل ضد حكم

الديكتاتور الجواتيمالي خورخي أوبيكو، مما اضطره إلى اختيار منفاه في المكسيك التى استقر فيها بعد عدد من الأسفار والإقامات والمهام الدبلوماسية فى أوروبا على وجه الخصوص.

من أشهر أعماله:

- الأعمال الكاملة وقصص أخرى (١٩٥٩)
- النعجة السوداء وحكايات أخرى (١٩٦٩)
- حركة دائمة (١٩٧٢)
- وما غير ذلك صمت (١٩٧٨)
- رحلة إلى مركز الحكاية (١٩٨١)
- الكلمة المسحورة (١٩٨٣)
- حرف الـ e: قطوف من يوميات (١٩٨٧)
- الباحثون عن الذهب (١٩٩٣) (سيرة ذاتية)
- البقرة (١٩٩٨)
- طيور من إسبانوأمريكا (٢٠٠٢)

معروف أن مجموعته القصصية "النعجة السوداء وحكايات أخرى هى أهم إصداراته وأشهرها، وهى التى كانت مصدر شهرته الأدبية

داخل وطنه وخارجه. ومن أهم عناصرها - التى هى فى الوقت ذاته مجمل سمات كتاباته اللاحقة - المزحة والدعابة التى تعلمها من أمير السرد الإسبانى دون ميغل دى ثربانتس والسخرية واللجوء إلى الأمثولة القديمة من إيسوب إلى لافونتين فى التراث الأوروبى، وإلى الإرث الأمريكى القديم المتمثل فى منابع كثيرة منها كتاب العموم (*Popol Vuh*)، وثقافات المايا، وشعوب سلسلة جبال الأنديز على سبيل المثال.

وخصوصية كتابة مونتيروسو أنها قراءة جديدة للأمثولة التقليدية ومراجعة لعناصرها وإعادة صياغة ذكية وحديثة لقالبها ومعمارها التقليديين. فعلى الرغم من تمسكه بأبطال الحكاية القديمة وأدوارهم التقليدية فى حكايات الوعظ، ينفح هؤلاء الأبطال أدوارا ودلالات غير تقليدية. أما أهم إضافة منه إلى الحكايات هى أنها بلا أى نية فى الوعظ ولا استخراج الموعظة منها، بل إنها تحمل -رمزا أو إبهاما أو صراحة- هموم الإنسان المعاصر وشعوره بالاغتراب والتشظى وتعذر اتصاله بالآخر وبالانكشاف أمام مخاوفه ورعبه مما هو آت.

وهنالك كذلك فى كتابة مونتيروسو فى هذه المجموعة ملمح فارق تجعله متنائيا عن جوهر الفكر التقليدى الغربى، وهو الفكاك من سطوة

العقلانية المحدودة واستشراف أنماط فكرية حاضرة فى ثقافات أخرى وتعزز الاتجاه نحو اللامركزية فى الفكر والإبداع.

ومقاربته لحكايات تقليدية مثل "السلحفاة وأخيل" و"بجماليون"، تنم عن أصالة هذا الكاتب فى استحداث رؤى ومعالجات تراجع القديم وتتقاطع مع المعاصر المعيش.

وقد أشرنا إلى مجموعة النعجة السوداء وحكايات أخرى، على وجه الخصوص، لأنها حاضرة بشكل واضح فى هذا المجلد الذى نقدمه إليك عزيزى القارئ ويحمل عنوان "مختارات شخصية"؛ وهو مع ذلك يضم قصصا أخرى من مؤلفات أخرى للكاتب.

ولا يفوتنا إضافة أن أوجوستو مونتيروسو، إلى جانب كونه

(٦)

الجنـــة

فى الآونة الأخيـرة كـان يصل إلى مكتبـه مـتـأخرا قليلا، بل على الأحرى متأخرا جدا، ولكن فى الحدود التى يسمح بها فى رأيه النظام الذى أتى به إلى ذلك المكان تحديدا كى لا يعمل، كى لا يعطل أحدا، كى يحضر متأخرا! لأن المهم، كما يفكر الآن، هو ألا يتخلف عن الحضور، وأن يصل إلى العمل، ويمكث. حينئذ يقدم له النادل فنجان قهوة وهو يقبله ممتنا، فكم كان رائعا شعور المرء بأنه يفعل شيئا، وأن ينتظر شيئا خلال الدقائق الثلاث القادمة، وإن يكن فنجان قهوة سيئ الإعداد وله رائحة جرذ عجوز، عجوز جدا. وعندما تخبره السكرتيرات بأن أحدا لم يسأل عنه (فـ «لا أحد» كانت عكس لا أحد، فـ «لا أحد» تعنى بالطبع أحد الرؤساء، أو موظفا أعلى فى المصلحة) كان يشعر بالسكينة والأمان.

حينئذ يمكن للصباح أن يمر بلا قلق فمن هذه اللحظة يصبح كل الأمر مسألة انتظار فى صبر حتى منتصف النهار ثم الساعة الواحدة ثم الثانية والنصف. بيد أن ذلك كان دائما وهما؛ فالساعات تنقضى فى مشقة ومن الأفضل، كما تفعل حية "البوا" فى ضحياها، أن تغطيها بلعابها بلا قلق كل منها على حدة، طويلا، حتى يمكن بلعها دقيقة تلو الدقيقة، رغم أنك لاحظت فى دقة ذات مرة فى العمل، أنه بعد ساعة تأتى أخرى ثم أخرى وأخرى، ولم تزل أمامك ثلاثين دقيقة تالية تقضيها فى نهاية الأمر كيفما اتفق وترحل مسرعا. وبالطبع وعلى أية حال يمكنك أن تلوذ بالجريدة، لكن المرء لن يقضى النهار بأكمله يطالع الجريدة. ومع ذلك، فأنت أعلم بوسائلك الاحتياطية فأنت واثق من أن أحدهم، أحدهم العظيم، سيكون هناك دائما ليتحدث إليك. بعضهم ينصت لك دائما باهتمام، أو هو على الأقل يصطنع ذلك وهو ليس بالقليل، ينصت لمشاكلك، ويجيبك بنعم حين تكون بحاجة إلى أن يجيبوك بنعم، أو بـ"لا"، وبـ"بأن ذلك لا يجوز" حين يتطلب الأمر أن يفند أحدهم سلوك زوجتك فيما يخص المال، أو الأولاد، أو الأوراق والكتب التى فى كل خطوة تتركها هنا وهناك (فى تلك الفوضى المعروفة عنك والمميزة لك والتى تتيح لك فى أى وقت معرفة موضع كل شىء بشرط ألا يرتب أحد

لك المكتب اللعين)؛ أو يحدثك عن السينما، كلا؛ أو عن الرياضة، أقل من السينما؛ ربما في الأدب، ولكن بلا عمق، لأنك وإن تكن على معرفة بمعظم الروايات التي كتبت مؤخرا خاصة في أمريكا اللاتينية، لأن هذه هي الموضة، فإنك في الواقع لم تقرأها، أو رغم أنك تعلم أنه، حسنا، رغم أنك ترى أنه واجبك، بوصفك كاتبا، ولكن على أية حال، بوسعك الحديث عنها كأنك قرأتها، فيكفيك حدسك أو إلقاء نظرة كي تدرك في أي اتجاه يتجه خوليو كورتاثر[1] أو بارغس يوسا[2] أو جارثيا ماركث[3] أو ليثاما ليما[4]، دون أن تكلف نفسك هذه المشقة، خاصة في الوقت الراهن؛ حيث لا يمر يوم دون أن يظهر عمل جديد، ولم يعد هناك وقت لقراءة كل شيء، إلا فيما خلا تلك الروايات الطويلة التي هي أحيانا شديدة التشابك عن قصد ليثبت مؤلفوها أنهم يتقنون تقنياتها. أرأيت؟ أقرأت "باراديسو"؟ أنا لم أقرأها. فالمرء قبل أن ينتهي من إحداها تظهر

---

(١) خوليو كورتاثر (١٩١٤-١٩٨٤): هو مفكر وكاتب ومترجم أرجنتيني.

(٢) بارغس يوسا (١٩٣٦-): روائي، وصحفي، وسياسي من بيرو. حائز على جائزة نوبل في الأدب عام ٢٠١٠

(٣) جارثيا ماركث (١٩٢٨-): روائي وقصاص كولومبي. حائز على جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٨٢

(٤) ليثاما ليما (١٩١٠-١٩٧٦): شاعر، وكاتب، وقصاص، وكاتب مقال من كوبا.

أخرى. وأنت، هل قرأتها؟ فتجيب أنت مازحا، أنا لم أنته إلى الآن من قراءة دون كيخوتى، وأنت تعلم أنك لم تقرأ ولن تقرأ دون كيخوتى أبدا، وهو ما ينغص حياتك، كما قال لوبى دى بيجا العظيم، لحسن الطالع، فى حديثه على فراش الموت عن دانتى. ولكن، بلا مزاح، الواقع أنك لم يكن لديك وقت. حينئذ تفكر بعد أن استقر رأيك بأنك فى غضون نصف الساعة، لدى انصرافك، سوف تسد ما ينقصك عن الرواية الإسبانوأمريكية، وترى عالما مثاليا، نوعا من "حديقة اللذات"، تبلغ فيه منزلك ويكون كل شيء معدا تقدم لك زوجك بلا تأخير بمئزرها الوردى الجميل وبسمتها التى لا تغادر وجهها ما دامت ليس لديها مشاكل تقدم لك طعام الغذاء وأولادك جلوس فى انتظام حول المائدة، هادئين وحاصلين على عشرة من عشرة فى السلوك، وفى لحظة تنتهى من طبق الحلو وتذهب إلى غرفتك وتمسك برواية "باراديسو"، وكمثل أولئك السباحين من ذوى الزعانف الكبيرة كالضفادع وأنابيب الأكسجين إلى ظهورهم الذين لا يدرى أحد من يتأملون على هذه المسافة من الأمتار تحت الماء بالكاميرا البطيئة وبالألوان فيما لم يشاهده أحد من قبل، تغوص فى قراءة عميقة ورائعة، لا يعطلك سوى دوافعك الشخصية: كأن تذهب للتبول، أو تهرش ظهرك، أو تهبط طلبا لكوب ماء، أو تشغل أسطوانة،

أو تقص أظافرك، أو تشعل سيجارة، أو تختار قميصا لكوكتيل هذا المساء، أو تجرى اتصالا هاتفيا، أو تطلب قهوة، أو تطل من النافذة، أو تمشط شعرك، أو تنظر إلى حذائك، حسن كل هذه الأشياء التى تبهج القراءة، الحياة.

من كتاب: حركة دائمة

(٧)

بقـــرة

في ذلك اليوم، فيما أركب القطار، نهضت على قدمي بغتة في سعادة وجعلت أومئ بيدي من البهجة وأدعو الجميع إلى رؤية الطبيعة وتأمل الشفق وكم كنت سعيدا. أما السيدات والأطفال وبعض السادة الذين قطعوا حديثهم راحوا ينظرون إليّ في دهشة ويضحكون مني، وحين جلست مجددا ساكنا لم يكن في وسعهم أن يتخيلوا أنني رأيت منذ قليل وهي تبتعد في بطء على حافة الطريق بقرة ميتة دون أن تجد من يدفنها أو ينشر لها أعمالها الكاملة، أو من يلقي في حقها خطابا متأسيا وباكيا؛ نظرا إلى طيبتها وإلى كل دفقات الحليب الدافئ التي أسهمت بها في أن يستمر سير الحياة على وجه العموم وسير القطار على نحو أخص.

من كتاب: الأعمال الكاملة (وقصص أخرى)

(٨)

الإيجـــاز

ما أكثر ما أسمع الحديث عن الإيجاز، ومؤقتا أنا نفسى أسعد حين أسمع قول "إن الخير، موجزا، خير مرتين".

ومع ذلك فإن هوراس ليتساءل، فى مقطوعاته الهجائية رقم ١ - من الجزء الأول-، أو هو يصطنع سؤال ميسيناس لما لا يقنع أحد بحاله، فالتاجر يحسد الجندى، ويحسد الجندى التاجر. (تتذكرون، أليس كذلك؟).

والحق أن كاتب العبارات الموجزة لا يطمح إلى شىء فى العالم غير كتابة نصوص مسهبة بلا نهاية، نصوص طويلة لا يعمل فيها الخيال، وتتقاطع فيها الأحداث والأشياء والحيوان والإنسان، فيبحث بعضهم عن بعض أو يفرق بعضهم من بعض، فيعيشون، ويتعايشون، ويتحابون أو يهرقون دمهم بلا قيد دون أن يخضعوا للفصلة المنقوطة، أو النقطة.

لهذه النقطة التى فرضها علىّ فى هذه اللحظة ما هو أقوى منى، وأحترمه وأمقته.

من كتاب: حركة دائمة

(٩)

الإيمان والجبال

فى البدء، كان الإيمان يحرك جبالا فقط حين يكون الأمر ضروريا للغاية، ومن ثم فإن الطبيعة لبثت على حالها ألوف السنين.

ولكن حين بدأ الإيمان ينتشر وبدا للناس أن فكرة تحريك الجبال مسلية، راحت الجبال تتحرك بلا توقف، وأصبح عسيرا فى كل مرة أن يجدها المرء حيث تركها فى الليلة السابقة؛ وهو أمر بالطبع زاد المشاكل أكثر من حلها.

حينئذ قرر خيار الناس تركه والآن، على وجه العموم، منفكت الجبال فى مكانها.

والآن حين يحدث سقوط يلقى حتفه تحته عدد من المسافرين، فمرد ذلك أن أحدا من بعيد أو من قريب انتابته نفحة خفيفة من الإيمان.

من كتاب: النعجة السوداء وأمثولات أخرى

(١٠)

الذبابة التى حلمت أنها نسر

كانت هناك ذات مرة ذبابة تحلم كل ليلة بأنها نسر، وأنها تطير بين جبال الألب وجبال الإنديز.

فى البداية أصابها ذلك بالجنون من فرط السعادة؛ ولكنه، بمرور الوقت، سرعان ما أصابها بالكرب لأنها وجدت أن جناحيها بالغا الحجم، وجسدها ثقيل جدا، وأن منقارها قوى جدا ومخلبيها فى بالغ القوة؛ حسنا، أى إن تلك الآلة الضخمة كلها تحول بينها وبين أن تحط فى رضا فوق الحلوى اللذيذة أو فضلات البشر، أو بين أن تعانى بقصد منها حين تصطدم بزجاج نافذة غرفتها.

ففى واقع الأمر لم تكن تحب التحليق فى الأعالى، ولا الفضاءات المفتوحة على وجه الإطلاق.

ولكنها كلما ثابت إلى رشدها تمنت أن تصير نسرا كى ترتقى الجبال، ولبثت حزينة لأنها ذبابة، لذا فإنها كانت تطير كثيرا، وتلف وتدور إلى أن تضع فى بطء خدها على الوسادة فى الليل.

من كتاب: النعجة السوداء وأمثولات أخرى

(١١)

الحكيم الذى صعد إلى السلطة

فى أحد الأيام منذ أعوام، لاحظ القرد أنه من بين جميع الحيوانات ينحدر من أفضل سلالة، الإنسان.

هذا الاكتشاف أشاع فيه الحماس فجعل يدرس حزمة كبيرة من الكتب مكدسة منذ القدم فى منزله، وكلما زاد تعلمه أجاد التصرف ككائن مهم فى المواقف الأكثر شيوعا.

وبلغ إصراره مبلغا جعله يحقق تقدما كبيرا فى وقت قصير بنصائح أنثى الثعلب فى السياسة والبومة والحية فى العلم.

وعلى هذا النحو، وحيال دهشة السذج، سرعان ما بدأ صعوده إلى القمة، إلى أن جاء اليوم الذى حياه فيه أصدقاؤه وأعداؤه بعبارة "أمين سر الأسد".

ومع ذلك، فى سهاده (فكثيرا ما يحدث ذلك منذ أن أدرك أنه يعلم الكثير)، اكتشف القرد اكتشافا آخر مذهلا: من الظلم أن يكون رئيسه الأسد الذى لا يعتمد إلا على قوته الجسدية وخوف الآخرين منه؛ أما هو الذى إن يشأ (حسبما قرأ فى مكان لا يتذكره) يمكنه بقليل من الإصرار أن يعيد كتابة سونتات شكسبير، فلا يعدو كونه مجرد تابع.

فى اليوم التالى، متسلحا بسلاح الشجاعة تنحنح عدة مرات، وفى أكثر من ساعة عرض على الليث، وبعد أن ساق مبررات طويلة ومعقدة، نظرية أنهما يجب أن يتبادلا الأدوار وذلك طبقا لأبسط قواعد المنطق، فكم كان من السهل لمن لديه شىء من العقل أن يدرك كم كان يتفوق عليه من حيث الأصل ومن حيث الذكاء بالطبع.

والأسد المنشغل فى تحليق ذبابة لم يخفض بصره فى أية لحظة، وافقه فى كل شىء، وفى تلك اللحظة نفسها بادله التاج بالقلم، وأطل من الشرفة ليعلن هذا التغيير للمدينة والعالم.

ومنذ ذلك الحين، وكلما أمره القرد بشىء، أجابه الليث المطيع دائما بضربة مخلب؛ وكلما وبخه القرد لأنه فهم خطأ أمرا أو لم يحسن كتابة خطاب رد الليث بضربتين أو ثلاث، حتى إن جسد القرد، بعد وقت قليل، لم يعد به موضع لا ينزف دما أو ما هو أسوأ.

وفى النهاية، توسل القرد إلى الأسد جاثيا على ركبتيه تقريبا أن تعود الأشياء سيرتها الأولى، فأجابه الأسد الذى يشعر بالسأم منذ نحو ألف عام متثائبا إلى طلبه، ثم تثاءب من جديد ليقول له حسنا فلتعد الأمور إلى سابق عهدها، وقبل منه التاج وأعطاه القلم، ومنذ ذلك الحين يحتفظ القرد بالقلم والأسد بالتاج.

من كتاب: النعجة السوداء وأمثولات أخرى

(١٢)

النعجة السواء

في واحد من الأقطار البعيدة، كان هنالك نعجة سوداء.

أعدمت رميا بالرصاص.

بعد قرن من الزمان، أقام لها القطيع الذى ندم على فعلته، أقام لها تمثالا راكبا في الحديقة العامة.

وعلى ذلك، ومنذ تلك اللحظة فصاعدا، كلما ظهرت نعجة سوداء سرعان ما يعمل فيها القتل؛ كي تتمكن الأجيال اللاحقة من التمرس في فن النحت.

من كتاب: النعجة السوداء وأمثولات أخرى

(١٣)

الحرباء التى لم تدر فى نهاية الأمر بأى لون تتلون

فى بلد بعيد بعيد، فى قلب الغابة، منذ أعوام عديدة، مر وقت عصيب دخلت فيه الحرباء، التى مالت إلى السياسة، فى حالة من الحيرة التامة، فالحيوانات الأخرى، بمشورة أنثى الثعلب، انتبهت إلى حيلها وبدأت تواجهها بأن تحمل فى جيوبها ليل نهار مجموعات من الزجاج المختلف الألوان لمكافحة غموضها وريائها، أى إنها إذا كانت ذات لون بنفسجي وأرادت لأى ظرف مهم أن تكتسب اللون الأزرق مثلا، كانت الحيوانات تخرج قطعة زجاج حمراء ترى الحرباء من خلالها، فتظل بالنسبة لها هى الحرباء البنفسجية نفسها وإن سلكت سلوك حرباء زرقاء؛ وإذا كان لونها أحمر ولمبررات خاصة تحولت إلى اللون البرتقالى، فكانت الحيوانات تستخدم قطعة الزجاج المناسبة لتراها باللون الأحمر.

وذلك فقط فى حالة الألوان الأصلية، لأن هذا المنهج بلغ من الانتشار حد أنه بمرور الزمن لم يكن هناك من لا يحمل معه طاقما كاملا من الزجاج من أجل الحالات التى تتحول فيها الحرباء الماهرة إلى اللون الرمادى، أو الأخضر الضارب إلى الزرقة، أو أى لون آخر غير محدد تقريبا فتدعو الضرورة إلى وضع ثلاث أو أربع أو خمس طبقات من الزجاج.

ولكن من طيب الطالع أن الحرباء، بعد الأخذ فى الاعتبار أن الحيوانات جميعا سواء، اتخذت لنفسها المنهج نفسه.

حينئذ كم كان جديرا رؤيتها وهى تخرج قطع الزجاج وتبدلها كلما تغيرت ألوانها، تبعا للمناخ السياسى أو الآراء السياسية السائدة فى هذا اليوم أو ذاك من أيام الأسبوع، أو فى هذه الساعة أو تلك من النهار أو الليل.

ومن السهل أن نتخيل أن ذلك قد تحول إلى فوضى خطرة من الألسنة؛ ولكن سرعان ما فطن الأذكياء إلى أن ذلك سيكون الخراب التام ما لم ينظم على نحو من الأنحاء، إلا إذا اتفق الجميع على أن تعمى الآلهة بصرها وتضيعها، فاستعادوا النظام.

وفضلا عما تنص عليه اللائحة التى أعدت لهذا الغرض، فإن العرف بدوره قد أرسى قواعد رفيعة للتحضر تنص على أنه إذا كان لدى أحدهم حاجة ماسة إلى قطعة زجاج ذات لون بعينه؛ كى يتنكر أو لكى يكشف عن اللون الحقيقى لشخص ما، بوسعه أن يلجأ حتى إلى أعدائه لكى يعيروه إياها، طبقا لحاجته إليها فى تلك اللحظة، كما كان يحدث بين أكثر الأمم تحضرا.

الليث وحده، وكان حينئذ رئيس الغابة، راح يضحك من هؤلاء وهؤلاء، وإن جرب هو نفسه فى سخرية اللعب بقطع الزجاج على سبيل التسلية.

ويعود إلى تلك الحقبة المثل القائل:

كل حرباء ترى طبقا للون

الزجاج الذى ينظر إليها منه.

من كتاب: النعجة السوداء وأمثولات أخرى

(١٤)

السلحفاة وأخيل

أخيرا، طبقا للبرقية، بلغت السلحفاة خط النهاية فى الأسبوع الماضى.

وفى مؤتمر صحفى صرحت فى تواضع بأنها خشيت دائما الخسارة، لأن خصمها كان فى أعقابها طوال الوقت.

الحق أن أخيل، بعد عشرة آلاف تريليون جزء من الثانية، وصل خط النهاية كالسهم وهو يلعن زينون الإيلى(١) .

من كتاب: النعجة السوداء وأمثولات أخرى

(١) زينون الإيلى (٤٩٠ ق.م – ٤٣٠ ق.م): هو من إيليا، وهى مدينة يونانية على الساحل الجنوبى لإيطاليا، ويعد أحد فلاسفة ما قبل سقراط. عاش زينون فى القرن الخامس قبل الميلاد، وهو من أنصار بارمنيدس فى أن عالم الحس وهم باطل.

(١٥)

الزرافة التى سرعان ما فطنت إلى أن كل شىء نسبى

منذ زمن بعيد، وفى بلد بعيد، كانت هنالك زرافة متوسطة الطول ولكنها كانت من الإهمال بحيث إنها ذات مرة خرجت من الغابة وضلت.

على غير هدى وعلى غير عادتها جعلت تسير من هنا إلى هناك فى نزق، ومهما خفضت رأسها لترى الطريق لم تجده.

وهكذا، وصلت فى سيرها إلى شعاب حمى فيها وطيس معركة كبرى.

وعلى الرغم من سقوط الكثير من الضحايا من الجانبين، لم يكن أحد مستعدا للتنازل عن مليمتر واحد من الأرض.

كان القادة يخطبون فى قواتهم شاهرين سيوفهم، فيما اصطبغ الجليد باللون الأحمر القانى لون دم الجرحى.

بين الدخان ودوى المدافع كان يُرى قتلى الجيشين وهم يسقطون،

ولا يسعفهم الوقت كي يسلموا أرواحهم للشيطان؛ لكن من نجوا يواصلون إطلاق النار في حمية إلى أن يجيء دورهم ويسقطون بسمت غبي، رغم أنهم يعتقدون أن التاريخ سيسجله سمتا بطوليا، فهم يموتون دفاعا عن العلم؛ وبالفعل فإن التاريخ كان يأخذ تلك الإيماءات مأخذ البطولة، سواء التاريخ الذي يأخذ إيماءات فريق أو التاريخ الذي يأخذ إيماءات الفريق الآخر، لأن كل جانب كان يكتب تاريخه الخاص؛ وعلى ذلك فإن ويلنجتون كان بطلا عند الإنجليز ونابليون بطلا عند الفرنسيين.

في تلك الأثناء تابعت الزرافة سيرها، إلى أن وصلت إلى مكان من الشُعب أقيم فيه مدفع ضخم انطلقت منه في تلك اللحظة ذاتها طلقة أعلى رأس الزرافة بنحو عشرين سنتيمترا. وحين رأت الطلقة على مقربة منها إلى هذا الحد، وفيما تتابع بنظرها مسار الطلقة فكرت:

«حسنا، ما أجمل ألا أكون فارعة الطول، فلو أن رقبتي ثلاثون سنتيمترا أطول لاطاحت برأسي؛ وكم هو طيب ألا تكون الأرض في هذه البقعة منخفضة بمقدار ثلاثين سنتيمترا وإلا لأطاحت الطلقة برأسي أيضا. والآن أعي أن كل شيء نسبي».

من كتاب: النعجة السوداء وأمثولات أخرى

(١٦)

الشعاع الذى سقط مرتين فى المكان نفسه

حدث ذات مرة أن سقط شعاع مرتين فى المكان نفسه؛ فوجد أنه فى المرة الأولى كان قد أوقع ما يكفى من الضرر، وأنه لا ضرورة له فاكتأب كثيرا.

من كتاب: النعجة السوداء وأمثولات أخرى

(١٧)

الضفدع الذى أراد أن يكون ضفدعا أصيلا

حدث مرة أنه كان هناك ضفدع شاء أن يكون ضفدعا أصيلا، وفى كل يوم كان يجتهد لذلك.

فى البدء ابتاع مرآة راح ينظر فيها طويلا؛ بحثا عن أصالته المنشودة.

فى بعض الأحايين بدا أنه وجدها؛ وفى بعض آخر لم يجدها تبعا لحالته النفسية فى ذلك اليوم أو فى تلك الساعة، إلى أن مل ذلك وحفظ المرآة فى صندوق.

ورأى فى النهاية أن الطريقة الوحيدة لمعرفة قدره كانت آراء الناس، ثم بدأ يمشط شعره وينتقى ملابسه ويسلى وقته (حين تعييه الحيل) كى يمكنه معرفة هل سيتقبله الناس ويعترفون بأنه ضفدع أصيل.

في أحد الأيام لاحظ أن أكثر ما يثير إعجابهم فيه جسده، خاصة ساقيه، وعلى ذلك فقد كرس وقته لممارسة الجلوس والقفز؛ كي يكون له ساقان أفضل بمرور الوقت، ينتابه شعور بأن الجميع يشجعه.

وهكذا، ظل يبذل جهده إلى أن تركهم ينتزعون ساقيه في سبيل أن يعتبروه ضفدعا أصيلا، أما الآخرون فكانوا يأكلون ساقيه، وهو، في مرارة، تمكن من سماعهم وهم يقولون ما ألذ الضفدع وكأنه دجاجة.

من كتاب: النعجة السوداء وأمثولات أخرى

(١٨)

القرد الذى أراد أن يصبح كاتبًا ساخرًا

كان يعيش فى الغابة قرد أراد أن يصبح كاتبا ساخرا. استذكر كثيرا لكنه التفت فى الحال إلى أنه، كى يصير كاتبا ساخرا، تنقصه معرفة الناس فاجتهد فى زيارة الجميع والذهاب إلى حفلات الكوكتيل ومراقبتهم بطرف عينه، وهم منشغلون وفى يد كلٍّ قدحه.

ولما كان خفيف الظل فعلاً وكانت حركاته الراقصة تسلى الحيوانات الأخرى، لقى ترحابا فى كل مكان وهو أجاد فن أن يكون موضع ترحيب أكبر.

لم يكن هناك من لا يسر بحديثه، فإن يحضر يلقَ ترحابا سارا سواء من جانب "القردات" أو أزواجهن أو بقية سكان الغابة الذين، مهما تكن معارضتهم له فى شؤون السياسة الدولية أو القومية أو المحلية،

يظهر أمامهم متفهما دائما، واضحا دائما، معتزما التعمق في دراسة الطبيعة البشرية والتمكن من رسمها في كتاباته الساخرة.

هكذا دانت اللحظة التي غدا فيها أعرف الحيوانات بالطبيعة البشرية فلا تفوته فائتة.

حينئذٍ، في يوم من الأيام، قال: سأكتب ضد اللصوص، والتفت إلى طائر العقعق، وشرع في ذلك في حماس وراح يستمتع ويضحك ويعتلي الأشجار من فرط متعته للأشياء التي تجود بها قريحته عن طيور العقعق. لكنه، بغتةً، فكر في أن من بين حيوانات المجتمع التي احتفت به كان هنالك العديد من طيور العقعق - خاصة أحدها- وأنها كانت سترى أنفسها في مقاله الساخر، مهما قلّت درجة السخرية، فأقلع عن الفكرة.

فيما بعد، شاء الكتابة عن الانتهازيين ووضع عينه على الحية التي - بكثير من الحيل المساعدة في الحقيقة لما لديها من فنون التملق- تتمكن من المحافظة على مناصبها أو استبدال خير منها بها؛ بيد أن الكثير من الحيات - خاصة إحداها- كان سيشعر بالحرج فأقلع عن الفكرة.

فيما بعد رغب في السخرية من الشغالين المقهورين وتوقف عند النحلة التي كانت تعمل بغباء دون أن تدري لمَ أو لمن، ولكنه، خوفا من أن تشعر بالمهانة صديقاته من ذلك النوع - خاصة إحداها- انتهى

إلى مقارنتها بزيز الحقل الذى - فى أنانيته- لم يكن يتوقف عن الغناء متخيلاً نفسه شاعرا، وأقلع عن الفكرة.

ثم فكر فى الكتابة ضد الاختلاط الجنسى ووجه سخريته ضد الدجاجات المستهترات اللائى يسعين طيلة النهار وراء شباب الديكة، لكن الكثير منها كان أحسن استقباله فخشى أن يسىء إليها وأقلع عن الفكرة.

فى نهاية الأمر، أعد قائمة كاملة بنقاط الضعف ومساوئ البشر ولم يجد أحدا يوجه إليه مدافعه، فجميعها عيوب موجودة فى الأصدقاء الذين يشاركونه مائدته وفيه هو نفسه.

ساعتئذ تخلى عن فكرة أن يصبح كاتبا ساخراً وشعر بميل نحو التصوف والعشق وتلك الأشياء؛ ولكن الناس، إثر ذلك وكما هو معروف، جعلوا يقولون إنه مجنون، ولم يعد أحد يستقبله لا بذلك الترحاب ولا بذلك السرور.

من كتاب: النعجة السوداء وأمثولات أخرى

(١٩)

بجماليون

في عهد الإغريق، منذ زمن بعيد، كان هناك شاعر يدعى بجماليون تفرغ لنحت تماثيل رائعة الكمال حتى إنها لا ينقصها إلا أن تتكلم.

وما إن ينتهي من نحتها، كان يعلمها الكثير مما يعرف: الأدب عموما وخاصة الشعر، وبعضا من السياسة، وبعضا آخر من الموسيقى، وعموما بعض المزاح والأملوحات والتصرف المناسب في أية محادثة.

وحين يرى الشاعر أن تماثيله أصبحت مستعدة، كان يتأملها برضا عدة دقائق كأنما على غير رغبة منه ويجعلها تتكلم.

ويدءا من تلك اللحظة ترتدي التماثيل ملابسها وتخرج إلى الشارع، وفي الشارع أو البيت تتحدث بلا توقف عن كل ما ترى.

أما الشاعر فكان سعيدا بأعماله ويتركها على هواها، وحين يزوره أحد يلوذ بالصمت مباشرة (وكم كان في ذلك من راحة له) فيما تقوم تماثيله بتسلية الآخرين، وأحيانا على حساب الشاعر نفسه بطرائف بالغة الملاحة.

والطريف أنه كانت تجيء لحظة تظن فيها التماثيل، كالعادة، أنها أفضل من مبدعها وتبدأ في ذمه.

كانت تفكر في أنها أما وقد أجادت الكلام فإن ما ينقصها هو الطيران، ثم أخذت تجرب كل أنواع الأجنحة بما في ذلك أجنحة الشمع التي كانت قد نالت منذ وقت ليس بالبعيد سمعة سيئة في مغامرة مشؤومة.

أحيانا كانت تقوم بمجهود حقيقي، وتحتقن وجوهها، وتتمكن من الارتفاع سنتيمترين أو ثلاثة، وهو ارتفاع كان يصيبها بالطبع بالدوار، فهي لم تخلق من أجل ذلك.

أما بعضها، فكان يشعر بالندم ويقلع عن الفكرة، ويعود إلى الرضا بالقدرة على الكلام وإمكان إصابة الآخرين بالدوار.

وبعض آخر، عنيد، يصر في مسعاه، فيتخيله المارة من الإغريق قد جن، وهو يقفز تلك القفزات القصيرة التي كانت التماثيل تعدها طيرانا.

وبعض آخر خلص إلى أن الشاعر سبب كل مصائبها، سواء تكلمت أم قفزت، وحاول هذا البعض أن يفقأ عيني الشاعر.

في بعض مرة، كان السأم يصيب الشاعر فيركلها في مؤخرتها فتسقط في أجزاء صغيرة من الرخام.

من كتاب: النعجة السوداء وأمثولات أخرى

الكاتب في سطور :

أوجوستو مونتيروسو

ولد فى تيغوثيغالبا (هندورس) ١٩٢١، وتوفى فى عاصمة المكسيك عام ٢٠٠٣ . فى مطلع شبابه ناضل ضد حكم الديكتاتور الجواتيمالي خورخي أوبيكو، مما اضطره إلى اختيار منفاه فى المكسيك التى استقر فيها بعد عدد من الأسفار والإقامات والمهام الدبلوماسية فى أوروبا على وجه الخصوص.

من أشهر أعماله:

- الأعمال الكاملة وقصص أخرى (١٩٥٩)
- النعجة السوداء وحكايات أخرى (١٩٦٩)
- حركة دائمة (١٩٧٢)
- وما غير ذلك صمت (١٩٧٨)
- رحلة إلى مركز الحكاية (١٩٨١)
- الكلمة المسحورة (١٩٨٣)
- حرف الـ e: قطوف من يوميات (١٩٨٧)

- الباحثون عن الذهب (١٩٩٣) (سيرة ذاتية)

- البقرة (١٩٩٨)

- طيور من إسبانوأمريكا (٢٠٠٢)

ومن أهم ما حصل عليه من جوائز، جائزة "ماجدا دوناتو" عام ١٩٧٠، وجائزة "خابيير بياوروتيا" ١٩٧٥ عن كتابه مختارات شخصية، وفى عام ١٩٩٧ أهدته وزارة الثقافة والرياضة فى جواتيمالا "الجائزة الوطنية للأدب: ميجل إنخل أستورياس". وأخيرا حصل عام ٢٠٠٠ فى إسبانيا على جائزة "أمير أستوريس للأدب"؛ تقديرا لمسيرته على مجمل أعماله. كما حصل فى عام ١٩٨٨ على وسام "أجيلا أثتيكا" الأدبى من الحكومة المكسيكية نظرا لمجهوداته ومساهمته فى الثقافة المكسيكية.

المترجم فى سطور :

د. محمد أبو العطا

- أستاذ الأدب الإسبانى والترجمة بجامعة عين شمس، مصر.

- من بين من ترجم لهم: فيديريكو غرسيه لوركا، وخورخى لويس بورخس، وأدولفو بيوى كسارس، وخوليو كورتاثر، وكاميلو خوسيه ثيلا، وغابرييل غرسية ماركث، ورامون خوتا سندير، وإدوارد مندوثا، وخسوس باردو، وليوبولدو لوجونس، وفرانثيسكو برينيس، وخوسيه ماريا ألبارث، ودييجو باليردى، وداريو بييانوييا، وخوسيه بينيا ليستى، وأنا ماريا غاروته...

- كما ترجم عددا من الدراسات الأدبية إلى العربية أهمها مجلد "مسار الرواية الإسبانوأمريكية" و"الرواية الإسبانية المعاصرة".

- له ستة مجلدات فى ترجمة الشعر من الإسبانية وإليها.

- ترجم لخورخى لويس بورخِس مجلدات:

١) حديقة الطرق المتشعبة، ١٩٩١ .

٢) الألف، ١٩٩٨ .

٣) قصص، المركز القومى للترجمة، ٢٠٠٨ .

٤) مديح الظل، المركز القومى للترجمة، ٢٠١١ .

التصحيح اللغوى: صفاء فتحى
الإشـراف الفنـى: حسـن كـامل